

شِعْرُ

عَبْدُ اللَّهِ بْنِ الزَّعْرِيِّ

تَقْيِي

الدُّكْتُورُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ

الاستاذ بجامعة بغداد وجامعة قطر

مؤسسة الرسالة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

لقد اجتمعت في عبد الله بن الزبيري شاعر قريش في الجاهلية والاسلام خصال وتعاورت عليه ظروف لم يصدف ان اجتمعت في شاعر آخر ، فهو في الجاهلية شاعر قبلي يحب قريشاً ويفضلها ، ويتعصب لقومه ويفنى في سبيلهم ، وان لم تبرأ نفسه من نزعات التمرد والثورة على بطون من قريش ، فينتقد سلوكها ويهجوها ، وينال في سبيل ذلك الأذى والعنت .

وهو في أول ظهور الاسلام ييزغ شاعراً محامياً عن دينه الموروث ، مقاتلاً في سبيله ، هاجياً شعراء المسلمين ، وقد كان ابن الزبيري ابرز من هاجى حسان بن ثابت في التسع سنوات الأولى من ظهور الاسلام .

وحين تنتصر راية الاسلام ، وتفتح جيوش المسلمين مكة ، وتخضع زعماء قريش ، فيدينون بالاسلام ، يعز على ابن الزبيري ان يسلم طائعاً كما أسلم قومه ، فيولي هارباً نحو نجران وتضيق به الأرض الواسعة ، ويبلغه في مهربه انه مطارّد مهدور الدم ، وتصله أهاجي خصمه الألد حسان بن ثابت ، وتسلم الجزيرة أو تكاد ، ولا بد للطريد المنهزم ان يعود ، فحزم أمره وعاد إلى مكة ، ودخل فيما دخل فيه الناس ، فأسلم .

وعندها يسكت خصمه حسان عنه ، فقد صار واحداً من المسلمين ، أما ابن الزبيري فيعيش أزمة جديدة ، من الشعور بالذنب وتكبيت الضمير ، فينظم قصائده الاسلامية في الاعتذار لرسول الله ﷺ ، والتكفير عما اجترح لسانه ، في هجائه ، وهجاء المسلمين .

لقد وجدت في شعر ابن الزبيري صورة صادقة لنفس الشاعر ولأحداث

عصره ، مثلها شعره الذي كان أميناً في نقل عواطف الشاعر ، كما كان أميناً في نقل صورة العصر . وكنت قد نشرت هذا الشعر في مجلة معهد المخطوطات العربية ، في الجزء الأول من المجلد الرابع والعشرين أيار (مايو) سنة ١٩٧٨ ، ولم يكتب لهذا الجزء من المجلة ان يذيع ، بسبب ما جرى على المعهد والجامعة العربية من أحداث ، فرأيت أن أعيد نشر شعر ابن الزبيرى ، اذ ليس من العدل ان يلحق الطمس والضياح شعره في القديم ، ونسكت على النحس الذي لحق شعره ولازمه حتى العصر الحديث .

وسيجد القارئ في شعر ابن الزبيرى صفحات نفيسة من صفحات اللغة والأدب والتاريخ والسيرة والتراث .

والحمد لله أولاً وآخراً .

يحيى وهيب الجبوري

عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزَّبْعَرِيِّ مَيَاتُهُ وَشِعْرُهُ

حياته

عبد الله بن الزبعرى السهمي القرشي ، أبرز شعراء مكة في الجاهلية والإسلام وقد كان له أثر وخطر في حياة مكة إبان شركها وإبان إسلامها ، وكان شعره أبرز صوت من أصوات المعارضة التي وقفت بوجه الدين الإسلامي الجديد . فمن هو ابن الزبعرى هذا ؟

هو عبد الله بن الزبعرى ^(١) بن قيس بن عدى بن سعد ^(٢) بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر ابن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار ^(٣) وأمه عاتكة الجهمية بنت عبد الله بن عمير بن أهيب بن حذافة بن جح ، أما أولاده فلا نعلم عنهم شيئاً ، وقد انقرض ولده ^(٤)

(١) عرف بابن الزبعرى رجل آخر هو جبير بن الزبعرى النخعي من سروات العرب ، وقد مدحه زياد الأعجم بقوله :

وجدت العامري ابن الزبعرى جبيراً خير مخطيط لسارى

من أبيات ، وكان جبير بن الزبعرى شاعراً أيضاً . انظر المؤلف والمختلف ص ١٩٥ .

(٢) عبد السيوطي : عدى بن ربيعة بن سهم . شرح شواهد المغني ٥٥١/٢

(٣) الأغاني ١٧٩/١٥ وانظر أسد الغابة ١٥٩/٣ والمؤتلف ص ١٩٤ والمرصع ص ١٩٧ ،

والعقد الثمين ٣٨/٥ رقم الترجمة ١٥٢١ وتجريد أسماء الصحابة ٣١١/١ .

(٤) أسد الغابة ١٦٠/٣ وتجريد أسماء الصحابة ٣١١/١ والعقد الثمين ١٤٠/٥

والشاعر من بني سهم بن عمرو بن هصيص ، وهم من قبائل قريش التي لها مكانة وشأن في مجتمعهم ، وكان لسهم بن عمرو ولدان : سعد ، وإليه نسب عبد الله ، وسعيد ، ومنه هشام وعمرو ابنا العاصي بن وائل بن هاشم بن سعيد ، استشهد هشام يوم أجنادين ولا عقب له ، وأمه حرملة بنت هشام بن المغيرة المخزومي ، وأما أم عمرو فهي سبية من غزاة اسمها النابغة .

أما بنو سعد بن سهم ففيهم البيت والعدد ، فولد سعد : سعيد وحذيفة وحذافة وعدى . ونقف قليلا عند بني حذيفة ثم بنى عدى ، فن بنى حذيفة ابن سعد بن سهم ، نبيه ومنبه ابنا الحجاج بن عامر بن حذيفة بن سهم من المطعمين ، قتلا يوم بدر كافرين ، وكذلك قتل العاصي بن منبه ، ويذكرهم ابن الزبيري في شعره (١) وله كان سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأمه بنت العاصي بن وائل ، وريطة بنت منبه بن الحجاج أم عبد الله ابن عمرو بن العاصي . ومنهم إبراهيم بن سلمة بن عبد الله بن عفيف بن نبيه ابن الحجاج ، من فقهاء مكة وآخر من بقي يحدث عن مالك بن أنس .

أما عدى بن سعد بن سهم ، فرع عبد الله بن الزبيري ، فولده : قيس ، وهو سيد قريش في زمانه ، والحارث ، كان من المستهزئين برسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويعرف بابن الغيطلة ، وعبد قيس ، وعبد الله وكان على بني سهم يوم الفجار .

فأما قيس بن عدى بن سعد بن سهم ، فله ولدان : حذافة والزبيري ، فولد الزبيري (٢) عبد الله الشاعر ، وقد انقرض عقبه ، وولد حذافة بن قيس بن عدى : أبو الأخنس ، وخنيس من المهاجرين ، شهد بدرآ ، وكان زوج حفصة بنت عمر أم المؤمنين قبل رسول الله ، ولا عقب له . وعبد الله بن حذافة من مهاجرة الحبشة ، بعثه رسول الله إلى كسرى ، وهو المأمور بالنداء أيام التشريق أنها أيام أكل وشرب ، ولا عقب له ،

(١) انظر ق ٢٠ ق = تعني قصيدة أو قطعة أو بيتاً ، فهي رقم في شعر ابن الزبيري .

(٢) الزبيري : بكسر الزاي وفتح الباء وسكون العين وراء مفتوحة بعدها ألف ، الشكس

السيء الخلق ، قال الأزهرى : وبه سمي ابن الزبيري الشاعر ، والزبيري الضخم . ويقول الجوهري : الزبيري الكثير شعر الوجه والحاجبين واليدين ، وجعل زبيري كذلك . انظر

اللسان (زبيري) ٤٠٦/٥

وقيس بن حذافة من مهاجرة الحبشة ، وأولاد حذافة بن قيس هؤلاء هم أبناء عم عبد الله بن الزبعرى الشاعر .

ومن أبناء الحارث بن عدى بن سعد بن سهم : أبو قيس بن الحارث ، استشهد يوم اليمامة ، وسعيد بن الحارث ، استشهد يوم أجنادين بالشام ، وتميم بن الحارث ، استشهد أيضاً يوم أجنادين ، وعبد الله بن الحارث ، استشهد يوم الطائف . وهؤلاء أبناء عم عبد الله بن الزبعرى أيضاً ، يلتقون عند جد أبيه عدى بن سعد (١) .

لم تقدم المصادر معلومات واضحة عن حياة ابن الزبعرى ، غير نتف مقتضبة ومكررة لا تشفى غلة ولا تفسر حالة ، ولا بد من الرجوع إلى شعره لتكوين صورة عن حياته ، ومع علمنا بما يعتري بعض هذا الشعر من شك ووضع ، إلا أنه في جملة يكشف عن أمور عصره وجوانب حياته .

وأول ما نستطيع أن نتلمس في شعره ، تلك الإشارات التاريخية التي شهدناها أو سمع عنها ، من ذلك حادثة الفيل التي سجلها في القطعة ٢٣ ، إذ يتحدث عن حرمة مكة ومنعتها ، وكيف تشتت الجيش ورجع فلهم بعد أن كانوا ستين ألفاً فصار مصيرهم المرض والهلاك ، ويعزو ذلك إلى حفظ الله لهذا البلد ، وفي البيت الأخير يذكر كلمة (العباد) وهي كلمة ذات مدلول إسلامي :

كانت بها عاد وجرهم قبلهم والله من فوق العباد يقيمها

مما يرجح أنها مما قيل بعد الإسلام . ولم يكن ابن الزبعرى وحده قد سجل هذه الحادثة ، فلا بد أن يذكرها شعراء آخرون من قريش ، وإن لم يكن بين أيدينا شيء منه ، فإن ابن إسحاق يسجل هذه الحادثة ويذكر أنهم قالوا فيها شعراً ، يقول : « فلما رد الله الحبشة عن مكة ، وأصابهم بما أصابهم به من النقمة ، أعظمت العرب قريشاً ، وقالوا : هم أهل الله ،

(١) راجع جهرة أنساب العرب ص ١٦٣ - ١٦٦

قاتل الله عنهم وكفاهم مئونة عدوهم ، فقالوا في ذلك أشعاراً يذكرون فيها ما صنع الله بالحبشة وما رد عن قريش من كيدهم ، فقال عبد الله بن الزبعرى تنكلوا عن بطن مكة ... الشعر (١) .

ويتحدث في القطعة ٢١ عن بنى المغيرة بن عبد الله المخزوميين وبلائهم في حرب الفجار (يوم عكاظ) حيث حووا الناس ومنعواهم من الهزيمة ، ويتضمن شعره مآتى قريش والأحداث التي مرت بهم ، فقد جرى بين الأحلاف (حلف المطيين) وبنى عبد مناف خلاف ومنافسة ، فقالت الأحلاف واجتمعت : من يكفيننا من بنى عبد مناف ؟ فقالت بنو سهم : نحن نكفيهم ، إن قاتلوا قاتلناهم ، وإن وفدوا وفدنا ، وإن فعلوا فعلنا — فيتناول ابن الزبعرى هذا القول ويردده مفتخراً بموقف قومه (٢) :

أنا ابن الأثلى جاروا منافاً بعزها وجار مناف في العباد قليل
لقاء لقاء إن لقوا ووفادة وفعلوا بفعل والكفيل كفيل

ومن الأحداث التي أثرت في نفس ابن الزبعرى وكان لها صدى في شعره وطبعت قصائده اعتذاراً ومديحاً ، حادثة دار الندوة ، ذلك أن أناساً من قصى دخلوا دار الندوة لبعض أمرهم ، فأراد عبد الله بن الزبعرى أن يدخل معهم فيسمع مشورتهم ، فنعوه ، فكتب شعراً في باب الندوة مما يلي الكعبة (٣) :

ألهى قصياً عن المجد الأساطير ورشوة مثل ما ترشى السفاسير
وأكلها اللحم بحتاً لا خليط له وقولها رحلت عير أتت عير
توارثوا في نصاب اللؤم أولهم فلا يعد لهم مجد ولا خير

فلما أصبح الناس وقرأوا ذلك أنكروه وقالوا : ما قالها إلا ابن الزبعرى ، أجمع على ذلك رأيهم ، فمشوا إلى بنى سهم — وكان مما تنكر قريش وتعاقب عليه أن يهجو بعضها بعضاً — فقالوا لبنى سهم : ادفعوه إلينا نحكم فيه

(١) السيرة ٥٧/١ (٢) المنق ص ٤٤

(٣) المنق ص ٤٢٦ - ٤٢٧ وطبقات الشعراء ٢٣٥/١

بحكمنا ، قالوا : وما الحكم فيه ؟ قالوا : نقطع لسانه ، قالوا : فشانكم ، واعلموا والله أنه لا يهجوننا رجل منكم إلا فعلنا به مثل ذلك (١) . وفي الروض الأنف : فأسلموه إليهم فضربوه ، وحلقوا شعره ، وربطوه إلى صخرة بالحجون ، فاستغاث قومه فلم يغيثوه ، فجعل يمدح قصياً ويسترضيهم ، فأطلقه بنو عبد مناف منهم وأكرموه ، فمدحهم بأشعار كثيرة (٢) . ونتج عن هذه الحادثة أشعار كثيرة يمدح بها العاص بن وائل (٣) وبني قصي (٤) . والتوسل إليهم أن يطلقوه ويمنوا عليه ، يذكرهم بصلات الرحم والقربى ويوعدهم حسن الثناء :

فإن تطلقوني تطلقوا ذا قرابة ومثن عليكم صادقاً غير كاذب
ويذهب في تعداد رجالهم والثناء عليهم كل مذهب ، من مثل أبي سفيان ابن حرب ، وأسيد بن أبي العيص ، وأبي العاص بن الربيع ، وزمعة بن الأسود بن عبد المطلب ، يشيد بهؤلاء ويفضلهم على نفسه وقبيلته فإنهم أهل خير وكرم إن أخصب الناس وإن أجذبوا :

بأنكم في العسر واليسر خيرنا إذا كان يوم مزمهر الكواكب
وعلى الرغم من أن قومه أسلموه ولقي في سبيلهم الذل والعذاب ، فإنه لم يكن مضطغناً عليهم ، متكرراً لهم ، بل كان باراً بهم ، منحازاً إليهم ، صافحاً عما ألحقوا به من الأذى حين تخلوا عنه ، بل أسلموه ولم يمنعه ، فإذا قال له قائل : أسلمك قومك ولم يمنعوك ولو شاءوا منعوك ، أجابه ملتصقاً العذر لقومه ، ناظراً إلى صالح قبيلته وسلامها (٥) :

لعمرك ما جاءت بنكر عشيرتي وإن صالحت إخوانها لا ألومها
يود جناة الغي أن سيوفنا بأيماننا مسلولة لا نشيمها

وإذا صحت القطعتان (٢٩ ، ٢٨) لابن الزبعرى فهما مما يلحق بحادثة دار الندوة ، إذ يمدح في الأولى بني عبد مناف ويشيد بكرمهم وحنوهم ،

(١) طبقات الشعراء ٢٣٦/١

(٢) الروض الأنف ٨٧/٢ وانظر شرح الشواهد - العيني ١٤٠/٤

(٣) ق ٨ (٤) ق ٢ (٥) انظر ق ٢٤ وطبقات الشعراء ٢٣٧/١

ويذكر هاشماً الذي (هشم الثريد لقومه ورجال مكة مستنون عجاف) ، وكذلك القطعة الثانية ، فهي مدح لبنى عبد الدار الذين لهم حجابة البيت والندوة واللواء .

والملاحظ أن ابن الزبعرى قرشى شديد التمسك بقرشيته ، فهو بار بقومه بمدحهم ويشيد بفضائلهم ، وكل مدائحه تركزت في قريش ، سواء أكان منهم أهله الأدنون أم فروع قريش الأخرى ، فقد سقط في شعره مدح لخلف بن وهب الجمحي وأسرته (١) ، ويبت في ذكر عبد الله بن أبي ربيعة الموصوف بذى الرحمن والد عمر بن أبي ربيعة - كان اسمه بحيرى فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بعد أن أسلم - فقد كان لهذا الرجل فضل على الشاعر ، إذ قرب مجلسه وراح عليه خيره سريعاً غير مبطئ (٢) . وله قطعة في مدح العاص بن وائل بن هاشم من أشراف قريش ، فقد كانت له يد على الشاعر وهو رجل كريم يسبغ فضله على الناس ويعم خيره على المقترين (٣) .

أما آل المغيرة الخزوميون فلم يكتف بمدحهم والإشادة بفتوتهم وشجاعتهم وكرمهم (٤) ، بل كان يذكر بسر بن سفيان القميرى الخزاعى بديعة الوليد بن المغيرة ، وكان الوليد قد مر ذات يوم يجر برديه بين أبواب بني قير بن حبشية بن سلول ، فرماه رجل منهم بسهم ، فأصاب عضلة ساقه ، فمات من جرائها بعد ذلك ، وأوصى الوليد أن لا يطل دمه . فلما سمع بسر ابن سفيان بيت ابن الزبعرى :

ألا أبلغا بسر بن سفيان آية يبلغها عنى الخبير المفرد

من قصيدة ضاعت وليس لدينا منها غير هذا البيت (٥) ، أخذ بسر بن سفيان بيد ابنه وقريش جلوس في حرم الكعبة فقال : هذا ابني لكم رهن بالدية ، فأخذ خالد بن الوليد الغلام إلى بيته فأطعمه وكساه وأكرمه ثم أطلقه إلى أبيه قائلاً : انطلق إلى أبيك ، فإن كان لنا عليه حق فسيرحه علينا ،

(٣) ق ١٣

(٢) ق ٢٢ .

(٥) ق ٥

(١) ق ١٦

(٤) ق ٢٧

فلما بلغ القول بسر بن سفيان قال : أفعل والله لأريحن عليه حقه ، وكانت الدية مقطعة في سنين ، فأداها عاماً ، ثم حج رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع وقد بقى من الدية شيء ، فوضعه الرسول فيما وضع من دماء الجاهلية (١) .

في الإسلام :

فلما جاء الإسلام نجد ابن الزبيرى من أشد خصومه المنافحين عن دين قومه الموروث ، معترساً بالكعبة وأصنامها ، فهو يناقض شعراء المسلمين في المعارك التي دارت بعد الهجرة بين المسلمين والمشركين ، وكان ابن الزبيرى شاعر قريش الأول الذى يتصدى بشعره ليصور أحوال قريش في النصر والهزيمة .

وأول حادثة يسجلها ابن الزبيرى هى غزوة عبيدة بن الحارث الذى بعثه رسول الله فى السنة الأولى من الهجرة فى ستين فارساً من المهاجرين ، فسار حتى بلغ ماء بالحجاز بأسفل ثنية المرة ، فلقى جمعاً من قريش ، فلم يكن بينهم قتال بالسيوف ، وإنما جرى بينهم مرأمة بالسهم (٢) . وكانت سرية عبيدة بن الحارث أول راية عقدتها الرسول عليه السلام . وقال ابن الزبيرى قصيدته :

أمن رسم دار أقفرت بالعثاث بكيت بعين دمعها غير لاث
يناقض فيها قصيدة لأبى بكر الصديق أولها :

أمن طيف سلمى بالبطاح الدماث أرقت وأمر فى العشيرة حادث
وأول ما يغيب هاتين النقيضتين الشك الذى يحوم حولهما ، فقد ذكر ابن هشام عن كل واحدة منهما : « وأكثر أهل العلم بالشعر ينكر هذه القصيدة » لأبى بكر ولابن الزبيرى (٣) .

ويسجل ابن الزبيرى فى القصيدة — إن صححت له — قصة هذه السرية ، وكيف لقبها قومه القرشيون بجيش لجب فيه فرسان كالليوث أوقعوا الرعب

(١) المنق ص ٢٢٤ - ٢٣٢ باختصار .

(٢) السيرة ١/٥٩١ وما بعدها وانظر الطبرى ٢/٤٠٢ . (٣) السيرة ١/٥٩٢ - ٥٩٤ .

في صفوف المسلمين فكفوا عنهم ، ولو أنهم قاتلوهم لتركوهم صرعى
تنوح عليهم النساء ، والقصيدة فخر بقوتهم وتهديد ووعد لخصومهم ،
ويكرر فيها اعتزازهم بأصنام مكة العاكفين عليها :

لنترك أصناماً بمكة عكفاً مواريث موروث كريم لوارث

ويذكر أن ما فيها من تهديد موجه إلى المسلمين وإلى أبي بكر الذي
يناقضه :

فأبلغ أبا بكر لديك رسالة فما أنت عن أعراض فهر بماكث

وكان أبو بكر قد ذكر في حديثه بني سهم قوم ابن الزبيرى الذين
هجووه ونالوا منه سباً واقترأ ، فأعرض عنهم ، يقول أبو بكر في ختام
قصيدته (١) :

فأبلغ بني سهم لديك رسالة وكل كفور يبتغى الشر باحث
فإن تشعثوا عرضى على سوء رأيكم فإني من أعراضكم غير شاعث

وتأتى معركة بدر ، ويكون النصر المؤزر فيها للمسلمين ، وتنهزم
قريش فيها شر هزيمة ، ويسقط خيرة رجالهم قتلى ، ويكون وقع هذه
الهزيمة شديداً عنيفاً في نفس ابن الزبيرى ، فيحزن حزناً موجعاً ، وينظم
قصيدة (٢) يبكى فيها قتلى بدر ، ويذكر من صرع من قومه ، يعدد
منهم نبياً ومنبهاً ابني الحجاج بن عامر السهمى ، وعتبة بن ربيعة بن عبد شمس
وأخاه شيبة بن ربيعة ، والحارث بن منبه بن الحجاج وأخاه العاصى بن
منبه ، وأبا جهل عمرو بن هشام المخزومى ، وهكذا يعدد أسماءهم وينوه
بفضائلهم ، وينوح على مصارعهم ، وتبقى حرقه الألم في فؤاده مما نزل
بقومه في بدر ، حتى إذا جاءت معركة أحد بعد عام من بدر ، نجد ابن
الزبيرى يشارك في هذه الواقعة ويقا تل ذباً عن قومه وثأراً لقتلى قريش يوم
بدر ، فيقتل عبد الله بن سلمة بن مالك الأنصارى (٣) . وينظم في أحد ثلاث

(٢) ق ٢٠

(١) السيرة ٥٩٣/١

(٣) الطبقات - ابن سعد ٤٦٨/٣

قصائد ، يفرغ فيها ما فى قلبه من ثأر وشماتة بما أصاب المسلمين ، فهو فى مقطوعة (١) يفخر بأنهم قتلوا عبد الله بن جحش ، وحمزة بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والأعرج بن مالك المعروف بابن قوقل ، ويندم على أنهم لم يظفروا ببقية المسلمين الذين أفلتوا منهم ، ولو أقاموا لعضتهم السيوف وسفكوا من دماهم الكثير .

وفى قصيدة أخرى (٢) ، يصف معركة أحد ، وكيف أعدت قريش عدتها وسارت بجيوشها لتلقى المسلمين ، فلما لقوهم خاضوها حرباً مريرة ، صرعوا فى ميدانها سراة الأوس وبني النجار ، ويتهدد النبي بأنه لولا أن علا فى الشعب لما نجا من سيوفهم ، ويذكر مرة أخرى فى الصرعى حمزة ابن عبد المطلب وكذلك نعمان بن مالك من الخزرج ، وفى القصيدة تصوير دقيق لهول المعركة وشدة الصدمة وكثرة القتلى .

وفى قصيدة ثالثة (٣) يعرض فيها بحسان بن ثابت الذى فخر عليه كثيراً فى يوم بدر ، يبدؤها بقوله :

ياغراب اليبين أسمع فقل إنما تنطق شيئاً قد فعل
ويسميه فى بيت آخر :

أبلغا حسان عنى آية فقريض الشعر يشفى ذا الغلل
وفى فخر عليه بالنصر وما تركوا فى المعركة من قتلى وسادة أبطال نالت
منهم الرماح والسيوف ، فتركهم صرعى ممزقة ثيابهم ، منثورة أشلاؤهم .
وقد رد عليه حسان بن ثابت فى نقيضة قوامها خمسة عشر بيتاً ،
يبدؤها بقوله (٤) :

ذهبت بابن الزبعرى وقعة كان منا الفضل فيها لو عدل
ولقد نلتم ونلنا منكم وكذلك الحرب أحياناً دول
وكما رد حسان بن ثابت على هجاء ابن الزبعرى ، فكذلك رد كعب

(٢) ق ١٢

(١) ق ١٧

(٤) السيرة ١٣٧/٢ - ١٣٨

(٣) ق ١٥

ابن مالك على ابن الزبعرى فى هذا اليوم فى سياق مناقضته لهيرة بن أبى وهب ،
ويذكر فى القصيدة ابن الزبعرى قائلاً (١) :

فخرت على ابن الزبعرى وقد سرى لكم طلب من آخر الليل متبع
فسل عنك فى عليا معد وغسيرها من الناس من أخزى مقاماً وأشنع
ومن هو لم تترك له الحرب مفخراً ومن خده يوم الكربة أضرع

وكعب هنا يشير إلى فخر ابن الزبعرى عليه ، فأين هذا الفخر ، إنه
لا شك بعض مما ضاع من شعر الشاعر . ولكعب قصيدة أخرى فى أحد
يذكر فيها ابن الزبعرى ويهجو هججاً (٢) :

سألت بك ابن الزبعرى فام أنبأك فى القوم إلا هجينا
خيئاً تطيف بك المنديات مقيماً على اللؤم حيناً فحيناً
تبجست تهجو رسول المليك قاتلك الله جلفاً لعينا

ومعنى هذا أن ابن الزبعرى قد هجا رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
وليس بين أيدينا مزير هذا الهجاء شئ ، وهذا أمر طبعى ، إذ لم يحفظ الرواة
هذا الهجاء تأديباً مع الرسول الكريم ، وتبرأ منه الشاعر فأتلفه بعد إسلامه .

ويأتى يوم الخندق ، ويرد الله كيد الأحزاب ، وينجو المسلمون ،
ولكن ابن الزبعرى لا يترك هذا اليوم دون أن يسجل فيه شعراً (٣) يذكر
فيه جيش قريش وضخامته وقوته ، وكيف سار إلى يثرب وفى أمانيه
استئصال شأفة المسلمين ، وعلى هذا الجيش قواد من مكة هم : عيينة بن
حصن الفزارى ، وأبو سفيان صخر بن حرب زعيم قريش وقائدها فى هذا
اليوم ، ويعين ابن الزبعرى المدة التى قضتها قريش فى حصار المسلمين :

شهرًا وعشرًا قاهرين محمدًا وصحابه فى الحرب خير صحاب

ونتحفظ هنا من عجز البيت ، فأثر الرواة المسلمين وتصرفهم فيه
ظاهر ، فليس من هم الشاعر أن يصف صحاب محمد بأنهم خير صحاب ،
وهو خصمهم الألد ، وعدوهم الحقود ، على أن هذا التصرف لا يشيز

(٣) ق ١

(٢) السيرة ١٦١/٢

(١) السيرة ١٣٥/٢

القصيدة الجيدة السبك ، الحسنة الأسلوب ، ويلتمس الشاعر العذر لقومه
في رجوعهم خائبين :

لولا الخنادق غادروا من جمعهم قتلى لطير سغب وذئاب

وبعد الخندق في سنة ثمان ، أسلم عثمان بن طلحة بن أبي طلحة وخالد
ابن الوليد ، وهاجرا إلى يثرب مباعين ، فكبر ذلك على ابن الزبيري ،
فنظم في ذلك أبياتاً (١) يناشدهما فيها بالحلف الذي كان بينهما ، ويعيرهما
أنهما استبدلا دينهما بدين آخر ، وعد فعلهما هذا غدرآ فهو يحذر منه ،
أما الحلف الذي يذكر به ابن الزبيري في قوله :

أنشد عثمان بن طلحة حلفنا وملق نعال القوم عند المقبل

فهو حلف بني عبد الدار وسهم وجمح ونخزوم وعدى بن كعب ،
وكانوا مع بني عبد الدار ، وقد نحروا جزوراً ثم غمّسوا أيديهم في دمه ،
وخلطوا نعالهم بفناء الكعبة ، فسموا الأحلاف ، وأرادوا أخذ البيت
من بني عبد مناف ، ويقابل هذا الحلف حلف المطيين ، حيث تحالف
بنو عبد مناف وأسد بن عبد العزى وزهرة والحارث بن فهر وتيم بن مرة ،
وغمّسوا أيديهم بالطيب فسمى حلف المطيين (٢).

ولما نصر الله رسوله ، وفتحت مكة ، وأسلم أهلها ، ضاقت الأرض
بابن الزبيري فهرب إلى نجران هو وهيرة بن أبي وهب المخزومي زوج
أم هانئ بنت أبي طالب . وكان رسول الله قد أمر بقتل ثمانية رجال وأربع
نسوة من قريش عبد الله بن الزبيري منهم (٣) . فلما علم حسان بن ثابت بأمر
ابن الزبيري وهروبه إلى نجران ، هجاه بيت شعر هو قوله (٤) :

لا تعدمن رجلا أحلك بغضه نجران في عيش أجد لثيم

(١) ق ١٨

(٢) انظر المنقذ ص ٤٢ - ٤٣

(٣) الكامل - ابن الأثير ٢/٢٤٨ . والذين أهدر رسول الله دمهم هم : عكرمة بن أبي جهل
وصفوان بن أمية بن خلف ، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح ، وعبد الله بن خططل ، والحويرث
ابن نقيذ بن وهب ، ومقيس بن صبابه ، وعبد الله بن الزبيري ، ووحشي بن حرب - قاتل
حمزة - أما النساء فهن : هند بنت عتبة ، وسارة مولاة عمرو بن عبد المطلب ، وقينتا عبد الله بن خططل.

(٤) أسد الغابة ٣/١٥٩ والنهاية ٤/٣٠٨

فلما بلغ ذلك ابن الزبعرى خرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاعتذر إليه ، فقبل عذره ، وأسلم وحسن إسلامه ، وشهد ما بعد الفتح من المشاهد ^(١) . وصار يقول الشعر في التوبة والندم والاعتذار إلى النبي الكريم عما بدر منه في عهد الغواية والضلال ، ولم يصلنا من هذا الشعر الذي تصفه المصادر بالكثرة ^(٢) ، غير قطعتين وقصيدة ، يصف في قطعة ^(٣) أحزانه وهمومه وندمه على ما فرط منه في عهد الإثم ، ويصور ضلالتة وما كان يزينه له بنو جمح وبنو سهم من الظلم والضلال ، ولكنه توجه الآن إلى نور الهداية ، وآمن قلبه « بمحمد وبما يحيى به من سنة البرهان والحكم » ، ويعاهد ابن الزبعرى رسول الله أن يكون من جنود المسلمين يذب عنه بسيفه ولسانه ، فيجند شعره في سبيل الدين ومصلحة المسلمين ^(٤) :

يارسول المليك إن لسانى راتق ما فتقت إذ أنا بور
إذ أبارى الشيطان فى سنن الغى ومن مال ميلسه مشبور
إنتى عنك زاجر ثم حيا من لؤى وكلهم مغرور

وسرعان ما يندمج الشاعر في الحياة الإسلامية الجديدة ، ويفهم الدين الجديد ، ويردد بعض ألفاظه ومعانيه ، فتظهر في شعره ألفاظ من مثل : (اليقين ، والبر ، والصدق ، والحق ، ونور الدين المضىء المنير ، وأذهب عنا ضلة الجهل ، والإثم ، والضلال وشرائع الظلم ، والبرهان ، والحكم ، ورسول المليك ، وسنن الغى ، ومباراة الشيطان ، والنذير ، والغواة ، وبرهان الإله ، والعباد ، وأحمد المصطفى ، والصالحين ، إلى غير ذلك من الألفاظ التي بثها الإسلام ونشرها المسلمون .

وفي القصيدة ١٩ يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعتذر إليه ، ويذكر حاله حين كانت تغويه القبائل وتحرضه سهم ومخزوم ، أما وقد آمن قلبه ، وأقر بذنبه ، واعترف بإثمه ، فهو يسأل الرسول الصفح والغفران ، ويذكره بأواصر القرى ، وأحلام القوم ، ويمضى في مدح النبي بأن عليه علامة من علم المليك ، ونوراً وخاتماً ، وقد ظهر برهانه وعلا شرفه ،

(٢) الاستيعاب ٢/٣١٠

(٤) ق ١٠

(١) العقد الثمين ٥/١٣٨

(٣) ق ٢٦

وتمكنت دعوته ، ولذلك يشهد الشاعر بأن الدين حق وصدق ، وقد آمن به قلبه ، وأناب إليه بعد ضلال طويل .

ويغيب عنا ذكر ابن الزبيرى بعد إسلامه ، وبعد أن نظم قصائده في التوبة والاعتذار ، فلا نسمع عنه ولا نعرف من أمره شيئاً طيلة هذه الفترة ، حتى إذا كان زمن عمر بن الخطاب ترد رواية توضح النزعة القبلية التي كانت متمكنة من نفس ابن الزبيرى ، وقد تغير به الحال ، كما هي أشد تمكناً من نفس حسان بن ثابت ، الذى عرف بنزقه وقلة صبره على تحمل الهجاء ، وكانت سياسة عمر أن يمنع الشعراء من مضغ الشعر الذى يثير العصبية ويجدد الضغائن التي كانت بين الأنصار ومشركى قريش ، فقد كان هجاء حسان لابن الزبيرى وشعراء قريش مشروعا مقبولا يوم كانوا أعداء مشركين ، أما بعد الفتح ودخول قريش في دين الله ، فقد أصبح أعداء الأُمس لإخوان اليوم بفضل الإسلام ، وصارت العودة إلى شعر المناقضات الحربية بين مكة والمدينة إثارة للأحقاد وبعثاً للميت الذى واره الإسلام .

وإذا سكت ابن الزبيرى ورهطه عن هجاء حسان والخزرجيين لتغير الحال ، فما كان لحسان أن يسكت (١) وشعره محتمل في الماضي والحاضر ، ولذلك فقد أراد عبد الله بن الزبيرى وضرار بن الخطاب الفهرى أن ينفسا عن صدريهما ، فقدما المدينة ونزلا على أبي أحمد بن جحش ، وقالوا له : نحب أن ترسل إلى حسان بن ثابت حتى يأتبك فننشده وينشدنا مما قلنا له وقال لنا ، فأرسل إليه ، فجاء ، فقال له : يا أبا الوليد ، هذان أخواك ابن الزبيرى وضرار قد جاءا يريدان أن يسمعاك وتسمعهما ما قالوا وقلت لهما . فقال ابن الزبيرى وضرار : نعم يا أبا الوليد ، إن شعرك كان يحتمل في الإسلام ولا يحتمل شعرنا وقد أحبين أن نسمعك وتسمعنا ، فقال حسان : أفبتدآن أم أبدا؟ قالوا : نبدأ نحن فأنشده حتى فار فصار كالرجل غضباً ، ثم استويا على راحلتيهما يريدان مكة ، فخرج حسان حتى دخل على عمر بن الخطاب فقص عليه القصة ، فقال عمر : لن يذهبا عنك بشيء إن شاء الله ، وأرسل من

(١) مر عمر بن الخطاب بحسان بن ثابت وهو ينشد في مسجد الرسول فأخذ بأذنه وقال : أرغاء كرغاه البعير ؟ (الأغاني ٤/ ١٤٤ والمعدة ٢٨/١) .

يردهما ، وقال له عمر : لو لم تدركهما إلا بمكة فارددهما عليّ ... فأدركهما رسول عمر بالروحاء^(١) فردهما إليه ، فدعا لهما بحسان ، وعمر في جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال لحسان : أنشدكما مما قلت لهما ، فأنشدتهما حتى فرغ ، فقال له عمر : أفرغت ؟ فقال نعم ، فقال له : أنشدك في الخلاء وأنشدتهما في الملأ . وقال لهما عمر : إن شئتما فأقبا وإن شئتما فانصرفا وقال لمن حضره : إني قد كنت نهيتكم أن تذكروا مما كان بين المسلمين والمشركين شيئا دفعا للتضاغن عنكم وبث القبيح فيما بينكم ، فأما إذا أبوا فاكتبوه واحتفظوا به . قال خلاد بن محمد : فأدركنه والله وإن الأنصار لتجدده عندها إذا خافت بلاه^(٢) .

وتحتفي بعد ذلك أخبار ابن الزبيري فلا نسمع عنه شيئا ، ولعله توفي قريبا من هذه الفترة في زمن عمر بن الخطاب ، وليس لدينا نص صريح عن وفاته ، ويقدر له الزركلي في الأعلام سنة ١٥ هـ تاريخا تقريبا لوفاته ، وهو تاريخ محتمل ، ولكنه غير أكيد ، وعلى كل حال إن وفاته كانت في زمن عمر بن الخطاب ، إذ لا نجد له ذكرا في زمن عثمان أو علي .

شعره

الحديث عن شعر ابن الزبيري هو بعض من الحديث عن شعر مكة ، إذ هو أبرز شعرائها وأصدق من يمثل شعرها . ولم تكن مكة لتبرز في الشعر قبل الإسلام بين القرى العربية ، فقد كان حظها من الشعر ضئيلا خاملا ، فالشعراء البارزون فيها إنما بزغ نجمهم وذاع أمرهم في الإسلام ، إبان الحرب بين مكة والمدينة ، وفي الأحداث الدامية في بدر وأحد ، أما في الجاهلية ، فصحيح أن أبا سفيان كان له شعر ، إلا أنه ضاع ولم يحفظ منه الرواة إلا القليل . وابن سلام ينص على أن شعره قد سقط ولم يصل أكثره والذي بقي منه لا قيمة له ولا يعد شعرا ، قال : « ولأبي سفيان بن الحارث شعر ، كان يقوله في الجاهلية ، فسقط ولم يصل إلينا منه إلا القليل ، ولسنا نعد

(١) موضع بين مكة والمدينة على نحو ثلاثين ميلا من المدينة .

(٢) الأغاني ٤/ ١٤٠ - ١٤١ وطبقات الشعراء ١/ ٤٢٣ - ٢٤٤

ما يروى ابن إسحاق له ، ولا لغيره شعراً . ولأن لا يكون لهم شعر ، أحسن من أن يكون ذلك لهم » (١) .

وترد أسماء شعراء آخرين في مكة ، مثل الزبير بن عبد المطلب الذى بقى من شعره قليل (٢) . وكذلك حظ أكثر الشعراء الذين وردت أسماؤهم فى شعراء الجاهلية ، مثل أبى طالب ، ويروى له شعر لا يمكن أن يطمأن إليه ، فقد أورد ابن إسحاق فى السيرة قصيدة طويلة ، أبى ابن هشام منها أربعة وتسعين بيتاً ، ثم يشكك فيها حيث يقول : « هذا ما صح لى من هذه القصيدة ، وبعض أهل العلم بالشعر ينكر أكثرها » (٣) .

ولعل السبب فى خول شعر مكة وقلته ، هو ما ذهب إليه ابن سلام ، من أن الذى قلل شعر قريش ، أنه لم يكن بينهم ثائرة ولم يحاربوا . والشعر عنده إنما يكثر بالحروب التى تقوم بين الأحياء ، نحو حرب الأوس والخزرج ، أو أن تفشى الغارة بينهم ، فيغار عليهم ويغيرون (٤) . وكذلك كان أمر قريش ، ولهذا السبب لم ينبغ فيهم رجال سيف ، بحيث إن اليهود أجابوا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حذرهم أن ينزل بهم منازل بقريش فى بدر ، بقولهم : « يا محمد ، إنك ترى أنا قومك ؟ لا يقرنك أنك لقيت قوماً لا علم لهم بالحرب ، فأصببت منهم فرصة ، إنا والله لئن حاربناك لتعلمن أننا نحن الناس » (٥) . فقد كان لانشغال قريش بخدمة بيت الله من جهة ، وبالتجارة من جهة أخرى ، أنهم لم يجدوا من وقتهم ما يمكنهم من القيام بأمور الجيش ، فاضطروا أن يستأجروا جنداً مرتزقة من أفريقية ومن الأحباش ليقوموا بحراستهم (٦) .

أما شعراء مكة الذين ذكرهم ابن سلام (٧) ، وأشار إلى أبرعهم شعراً ، فهم :

١ — عبد الله بن الزبير . ٢ — أبو طالب بن عبد المطلب .

(١) طبقات الشعراء ٢٤٧/١ (٢) المصدر السابق ٢٤٥/١

(٣) السيرة ٢٨٠/١ (٤) طبقات الشعراء ٢٥٩/١

(٥) السيرة ٤٧/٢

(٦) عصر ما قبل الإسلام — لامانس ترجمة مبروك نافع ص ١٧١

(٧) طبقات الشعراء ٢٣٣/١ — ٢٣٥

- ٣ - الزبير بن عبد المطلب . ٤ - أبوسفیان بن الحارث .
 ٥ - مسافر بن أبی بن عمرو بن أمية . ٦ - ضرار بن الخطاب الفهري .
 ٧ - أبو عزة الجمحي - عمرو بن عبد الله .
 ٨ - عبد الله بن حذافة السهمي . ٩ - هبيرة بن أبی وهب .

وأما الشعراء الذين برزوا في عهد الدعوة : فهم عبد الله بن الزبيري ،
 وضرار بن الخطاب ، وأبو سفيان بن الحارث ، وهبيرة بن أبی وهب .
 وهؤلاء هم شعراء مكة البارزون .

وعلى هذا فإن عبد الله بن الزبيري ألع شعراء قريش وهو المقدم في
 شعره على شعراء مكة ، قيل : « وكان من أشعر الناس وأبلغهم ، يقولون
 إنه أشعر قريش قاطبة » (١) . وقد لاحظ ابن سلام أن شعر ابن الزبيري
 أرصن شعر في مكة ، يقول عند ذكره شعر ابن قيس الرقيات : « كان عبيد الله
 ابن قيس الرقيات أشد قريش أسر شعر في الإسلام بعد ابن الزبيري » (٢) .
 هذا هو الرأي المجمع عليه في تقديم شعر ابن الزبيري ، ولكن الزبير بن
 بكار يرى رأياً آخر ، فهو يقدم شعر ضرار بن الخطاب لقلة سقطه قائلاً :
 « وكذلك تقول رواة قريش إنه كان أشعرهم في الجاهلية ، أما ما سقط
 إلينا من شعره وشعر ضرار بن الخطاب ، فضرار عندي أشعر منه وأقل
 سقطاً » (٣) . ويصفه الآمدي بأنه : « شاعر مفلق خبيث » (٤) لإيذائه
 رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولكن كثرة شعر ابن الزبيري قد ضاعت ، وضياع شعره أمر مفروغ
 منه ، وكذلك ضياع شعر قريش ، بل ضياع شعر الفترة الإسلامية عامة . فقد
 كان للأحداث الكبرى التي شهدتها العصر أثر ظاهر في طمس الشعر وضياعه ،

(١) نسب قريش ص ٤٠٢ والاستيعاب ٣٦٧/١ وتجريد أسماء الصحابة ٣١١/١

(٢) طبقات الشعراء ٦٤٨/٢

(٣) أسد الغابة ٣-١٥٩ والمقدّمين ١٤٠/٥

(٤) المؤلف والمختلف ص ١٩٤

فالفرة مليئة بالأحداث الهامة ، وفي نمرة الأحداث هذه يتعرض الشعر وكل الظواهر الأدبية للطمس والضياع ، وإذا نظرنا إلى هذه الأحداث نراها تتوالى وتتابع سريعاً ، فقد لقي الإسلام عداء شديداً ونضالاً عنيفاً من مشركي قريش ، ومن وإلى قريشاً من الثقيين والأعراب واليهود ، وخاض الفريقان حروباً كثيرة في بدر وأحد والخندق وفتح مكة ثم حرب حنين والطائف ، ثم الردة ، ثم اشترأب عنق الفتنة وتناول شرها فتخطفت ثلاثة من أمراء المسلمين : عمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان ، وعلى بن أبي طالب . ومن الطبيعي أن يتأثر الشعر بهذه الأحداث الجسام فيضيع منه الكثير ، ولعل ابن سلام كان ينظر إلى هذه الأحداث عندما قال معقلاً على قول عمر بن الخطاب : كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه ، فجاء الإسلام فتشاغلت عنه (أى عن الشعر) العرب ، وتشاغلو بالجهاد وغزو فارس والروم ، ولغت عن الشعر وروايته ، فلما كثر الإسلام ، وجاءت الفتوح واطمأنت العرب بالأمصار ، راجعوا رواية الشعر ، فلم يؤولوا إلى ديوان مدون ولا كتاب مكتوب ، وألفوا ذلك وقد هلك من العرب من هلك بالموت والقتل ، فحفظوا أقل ذلك وذهب عليهم منه كثير^(١). وضياع الشعر عامة - الجاهلي منه والإسلامي - أمر يؤكد النقاد القدامى ، فابن سلام يذكر في موضع آخر من كتابه^(٢) . قلة ما بقي لطرفة وعبيد بأيدي الرواة والمصححين . ويقول أبو عمرو بن العلاء : « ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلا أقله ، ولو جاءكم وافرأ لجاءكم علم وشعر كثير »^(٣) .

وإذا عرفنا أن الشعر الذى قاله شعراء مكة ، وغير شعراء مكة من خصوم الإسلام ، كان يهاجم الرسول وأصحابه ، والدين الإسلامى ، ثم يشاء الله أن يكون النصر لدينه ولرسوله ، ويدخل الخصوم طوعاً أو كرهاً فى رحاب الدين ، إذا عرفنا ذلك أدركنا أن لابد أن يعمل الناس على تجنب ما قيل من الشعر الذى يمثل عهد الحروب والصراع بين الكفر والإيمان .

(١) طبقات الشعراء ٢٤/١ - ٢٥ .

(٢) السابق ٢٦/١ .

(٣) السابق ٢٥/١ والخصائص ٣٨٦/١ .

ثم إن ولادة المسلمين قد نهوا عن رواية الشعر الذي يراد به أهل مكة والمدينة . فعمر بن الخطاب كان حازماً في منع ما قيل ، دفعاً للتضاغن والأحقاد وبث القبيح ، وإذا تيسر للأنصار أن يدونوه ويحددوه حمية وعصبية (١) فما كان لقريش أن تفعل ذلك وقد تغير بها الزمان، ف شعرها كان يحارب الله ورسوله، ثم ثابت فآمنت بالله ورسوله، فالشعر الذي كان مفخرة عصبيتها بالأمس ، أصبح اليوم سبة وغاراً تتوارى منه ، وتعمل على دفعه والتخلص منه . ثم إن المسلمين لا يرضيهم حفظ شعر فيه تعريض برسول الله وأصحابه ، فكان طبيعياً أن يعملوا على طمسه وإبادته ، أضف إلى ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان قد نهى عن رواية أشعار بعينها (٢).

وحتى الشعر الذي وصل إلى أيدي الرواة في العصور الأولى ، وفيه تعريض وهجاء للمسلمين ، فإنهم قد تخرجوا من روايته أو رواية بعضه ، وكثيراً ما نجد في السيرة تعقيبات لابن هشام يذكر فيها أنه أسقط أبياتاً من القصائد : نال الشعراء فيها من النبي وأصحابه ، أو أن الشاعر قد أقذع فيها ، ولذلك فليس من الغريب أن نجد شعر قريش ، أو شعر مكة ، خلواً من ذكر الدين الإسلامي ، ومن ذكر النبي — إلا في القليل النادر — وقد يلتبس لأجل ذلك هذا الشعر بشعر الأيام — أيام العرب في جاهليتها وإسلامها — لولا ما في هذا الشعر من ذكر للمواقع والرجال .

وقد كان نصيب ابن الزبيري من ضياع الشعر النصيب الأوفى ، لأنه كان شاعر قريش الأول وأبرز شاعر قرشي تصدى لمناقضة الشعر الإسلامي وشعر حسان بخاصة ، فلا بد أن يضيع منه قدر كبير . ويسجل الرواة أن شعر ابن الزبيري كثير (٣) ، وأن ما وصلنا من شعره فيه إشارات للشعر المفقود أو الشعر المطموس ، فحين تذكر المصادر شعره تعقب بعدها بقولها : « في أشعار كثيرة يعتذر فيها » (٤) . وفي القصيدة ٢٦ يقول :

(١) انظر الرواية التي مر ذكرها عن ابن الزبيري وحسان وضرار ابن الخطاب في الأغاني ١٤١/٤ وراجع شعر المختصرين ص ٤٩ - ٥٠
(٢) السيرة ٣٠/٢ - ٣٢ (٣) العقد الثمين ١٤٠/٥
(٤) الكامل - ابن الأثير ٢٥٠/٢ وق ١٠

وله أشعار كثيرة في مدح الرسول . ولم يصلنا من هذه الأشعار الكثيرة غير قصيدتين في الاعتذار عند إسلامه ، وقد تجزئ المصادر بيتاً تشير إلى أنه من أبيات له ^(١) وجاء البيت رقم ٥ من قصيدة سقطت في الطريق ، وما وجود المقطوعات والأبيات المفردة الكثيرة إلا دليل الضياع والطمس لشعره الكثير .

وإضافة إلى ضياع كثرة هذا الشعر ، فإن ما وصل إلينا منه لا نستطيع أن نطمئن إلى صحته كل الاطمئنان ، فابن سلام ينبه في كثير من المواضع إلى أن شعره منحول ، وأن علماء الشعر ينكرون هذه القصيدة أو تلك له . وظاهرة الانتحال في شعر صدر الإسلام أمر محقق ، فقد حمل على شعر حسان بن ثابت وغيره من مشهورى الشعراء في هذه الفترة شعر كثير ، وإن استجلاء الشعر الصحيح من الشعر الفاسد مهمة غير يسيرة ، وبخاصة في شعر شاعر كابن الزبعرى أحاطت به تلك الظروف التي أشرنا إليها فيما تقدم ، ولذلك نجد ابن هشام في كتابه « السيرة النبوية » ينبه إثر كل قصيدة يشك في صحتها إلى أن أكثر أهل العلم بالشعر ينكرها له ، كما فعل في قصيدته رقم ٣ إذ قال بعد أن أثبتا : « وأكثر أهل العلم بالشعر ينكر هذه القصيدة لابن الزبعرى » ^(٢) ، وبعد أن ذكر قصيدته رقم ١٢ ونقيضة حسان لها قال : « وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها لحسان وابن الزبعرى » ^(٣) ويروى قصيدته رقم ١٩ ثم يعلق عليها : « وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها له » ^(٤) .

واحتفظ أبو الفرج الأصفهاني برواية تمثل عبث الناس بالشعر ونحله الشعراء ، فقد حدث الزبير بن بكار عن أبي نهشل عن أبيه قال : قال لى أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام - وجئت أطلب منه مغزماً - : يا خال ، هذه أربعة آلاف درهم ، وأنشد هذه الأبيات الأربعة وقل : سمعت حسان ينشدها رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقلت : أعوذ بالله أن أفترى على الله ورسوله ، ولكن إن شئت أن أقول : سمعت عائشة تنشدها

(٢) السيرة ١/٥٩٤

(٤) السيرة ٢/٤٢٠

(١) ق ٢٥

(٣) السيرة ٢/١٤٣

فعلت ... فأبى على وأبى عليه ، فأقننا لذلك لا نتكلم عدة ليال ، فأرسل إلى وقال : قل أبياتاً تمدح بها هشاماً - يعني ابن المغيرة - وبنى أمية ، فقلت : سمهم لي ، فسأهم وقال : اجعلها في عكاظ ، واجعلها لأبيك ، فقلت :

ألا لله قــــــــــــــــوم ولدت أخت بني سهم

... الأبيات ، قال : ثم جئت فقلت : هذه قالها أبي ، فقال : لا ، ولكن قل : قالها ابن الزبيري ، قال : فهي إلى الآن منسوبة في كتب الناس إلى ابن الزبيري (١) . وقال الزبير رواية عن محمد بن طلحة : إن قائل هذه الأبيات هو عمر بن أبي ربيعة (٢) .

ترجع صلتى بالشاعر عبد الله بن الزبيري إلى سنة ١٩٦٠ م حين كتبت رسالة جامعية عن (شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه) (٣) ، وكان ابن الزبيري أبرز شعراء مكة الذين مثلوا المعارضة الشعرية للدعوة الإسلامية ، وأفردت له حيزاً في الكتاب (٤) ، ثم جمعت ما تناثر من شعره في المصادر فوجدته قليلاً فتركته ، وشغلتنى عنه مشاغل ، ثم عدت إليه قبل عام وقد تجمعت عندي ملاحظات ومصادر جديدة وتخريجات كثيرة ، فأتممته ، وخلال مطالعاتي في مجلات المستشرقين هداني فهرس بيرسن : J.D. pearson INDEX ISLAMICUS.

إلى مجلة إيطالية فيها بحث بالإيطالية مع مجموع شعر بعنوان : (شاعر مكة عبد الله بن الزبيري السهمي) بقلم : منكاتي :

P. MINGANTI : POETA MECCANO, ABD ALLAH IBN AZ-ZIBA'RA AS-SAHMI.

RIVISTA DEGLI STUDI ORIENTALI, ROMA 1963
VOLUME XXXVIII PP. 323-359.

والرجل مشكور على جهده وله فضل سبق ، وحين قارنت عملي بعمله ، وجدت أن مجموعي يزيد عليه كثيراً ، ويمتاز عنه بصحة القراءة وكثرة

(٢٠١) الأغاني ١/٦٣

(٣) طبعت في بغداد سنة ١٩٦٤ م .

(٤) شعر المخضرمين ص ١٢٨ - ١٣٦

التخريج ومقابلة الروايات ، هذا من ناحية ، ومن ناحية ثانية فإن عمل منكاتى يكاد يكون مجهولاً لدى المستشرقين فضلاً عن العرب والشرقيين ، فإن اللغة التي ترجم له فيها ليست من اللغات الواسعة المنتشرة ، والمجلة التي نشر فيها ليست مما يمكن الحصول عليه ، وقد بقي عمله مجهولاً منذ سنة ١٩٦٣ وسبق مجهولاً غير متفجع به ، ولذلك كله رأيت أن أبادر في إخراج عملي هذا بعد أن طال حجبته واحتجازه .

لم يذكر القدامى ديواناً لابن الزبعرى ، ويبدو أن صناع الدواوين اعرضوا عنه لأن جل شعره في الدفاع عن قريش ورثاء قتلاها ومناقضة الشعراء المسلمين ، ويبدو أيضاً أن اللغويين الذين عنوا بجمع الشعر لأغراض لغوية لم يجدوا في شعر الشاعر هذه الثروة اللغوية التي يسعون إليها . فقديمًا لاحظ ابن سلام أن أشعار قريش فيها لين فتشكل بعض الإشكال^(١) . وكذلك شعر ابن الزبعرى سلس لين ميسور اللغة ، سهل الألفاظ ، بعيد عن وعورة الكلمة البدوية ، وتعايره بسيطة غير معقدة ، يجيء شعره عفواً الخاطر ، ليس فيه أثر لإعمال الفكر وكد القريحة ، وإنما هو وليد العاطفة وابن الفكرة الطارئة .

وأكثر شعره الذى بين أيدينا مقطوعات أو قصائد قصار ، وكذلك كان منذ القديم ، فلدينا رواية تؤكد هذه الحقيقة ، ومعها تفسير على لسان الشاعر ، فقد قيل لابن الزبعرى : « إنك تقصر أشعارك ، فقال : لأن القصار أولج في المسامع ، وأجول في المحافل »^(٢) . وفي رواية أخرى أن أبا سفيان قال لابن الزبعرى : « قصرت في شعرك ؟ فقال : حسبك من الشعر غرة لائحة ، وسمعة واضحة »^(٣) ، وكذلك نجد شعر ابن الزبعرى دقيقاً في عبارته ، بعيداً عن الفضول والزيادة والتكرار ، مقتصدًا في المعنى ، يتناول الغرض مباشرة فيقع فيه من غير أن يحوم حوله ، وتقل في شعره الملاحظات ، فإذا جاءت فهي قليلة وقصيرة .

(١) طبقات الشعراء ٢٤٥/١

(٢) التمثيل والمحاضرة ص ١٨٦

(٣) كتاب الصناعتين ص ١٨٠

لقد وجدت في شعر ابن الزبيرى ، على قلة ما تبقى منه ، مادة ثرية تكشف عن جانب من الحياة الإسلامية في صدرها الأول ، وبخاصة تلك الحياة التي تمثل الصراع الفكرى والنفسى الذى كان يعانيه الشاعر في ذلك العهد ، وقد كان هذا الشعر وثيقة تاريخية لحياة الشاعر وعصره ، وأحسب أن في نشر هذا الشعر إسهاماً في إحياء تراثنا الأدبى الذى ستظل العناية به ضرورة من ضرورات حياتنا المتجددة .

يحيى الجبورى

(١)

قال عبد الله بن الزبير في يوم الخندق (*) : (من الكامل)

- ١ - حتى الديار محاً معارف رسمها طول البلى وتراوح الأحقاب
- ٢ - فكأنما كتب اليهود رؤومها إلا الكنيف ومعقد الأطناب
- ٣ - قفراً كأنك لم تكن تلهو بها في نعمة بأوانس أتراب
- ٤ - فاترك تذكر ما مضى من عيشة ومحلة خلف المقام يباب
- ٥ - واذكر بلاء معاشير واشكرهم ساروا بأجمعهم من الأنصاب
- ٦ - أنصاب مكة عامدين ليثرب في ذي غياطل جحفل جبجاب
- ٧ - يدع الحزون مناهجاً معلومة في كل نشز ظاهر وشعاب
- ٨ - فيه الجياد شواذب مجنوبة قب البطون لواحق الأقرب
- ٩ - من كل سلهبة وأجرد سلهب كالسيد بادر غفلة الرقاب

(*) القصيدة في السيرة النبوية - ابن هشام ٢/٢٥٧ - ٢٥٨ ، والبداية والنهاية - ابن كثير ٤/١٣٢ - ١٣٣ .

- ١ - حتى الديار ، لعلها (حتى الديار) . الأحقاب : الدهور ، الواحد حقبة .
- ٢ - الكنيف : الحظيرة والزرب الذي يصنع للإبل ، سمي كنيفاً لأنه يكنفها ، أى يسترها . الأطناب : الحبال التي تشدها الأخبية ، ومعقد الأطناب : الأوتاد .
- ٣ - الأتراب : جمع ترب ، وهن المتساويات في السن .
- ٥ - الأنصاب : الحجارة التي يعلم بها الحرم ، والأنصاب أيضاً : حجارة كانوا يذبحون لها ويعظمونها .

٦ - ذو غياطل : جيش كثير الأصوات ، والغيطلة : الصوت . جحفل جبجاب : جيش كثير كنيف .

٧ - الحزون : ما ارتفع من الأرض ، المناهج : الطرق المبينة . النشر ، بالراء : المرتفع من الأرض ، مثل النشر بالزأى . الشعاب : جمع شعب ، المنخفض بين جبلين .

٨ - الشواذب : الخيل الضامرة . المجنوبة : المقودة بجانب الإبل . قب البطون : ضامرة ، وكذلك لواحق . الأقرب : جمع قرب ، الخاصرة وما يليها .

٩ - السلهبة : الطويلة من الخيل . السيد : الذئب .

- ١٠ - جيش عيينة قاصدٌ بلوائيه فيه وصخرٌ قائدُ الأحزابِ
 ١١ - قرمان كالبدرين أصبحَ فيهما غيثُ الفقيرِ ومَعْقِلُ الهَرَابِ
 ١٢ - حتى إذا وردوا المدينةَ وارتدوا للموتِ كُلُّ مُجَرَّبٍ قَضَابِ
 ١٣ - شهراً وعشراً قاهرينَ محمداً وصحابه في الحربِ خيرُ صحابِ
 ١٤ - نادوا برحلتهم صبيحةً قُتُّمُ كِدْنَا نكونُ بها مع الخِيَابِ
 ١٥ - لولا الخنادقُ غادروا من جمعهم قتلى لطيرٍ سَغْبٍ وذئبابِ

(١)

وقال ابن الزبعرى يمدح قصياً ويستعطفها (*) : (من الطويل)

- ١ - أَلَا أَبْلِغَا عَنِّي قُصَيًّا رِسَالَةً فَأَنْتُمْ سَنَامُ الْمَجْدِ مِنْ آلِ غَالِبِ
 ٢ - وَأَنْتُمْ ثِمَالُ النَّاسِ فِي كُلِّ شَتْوَةٍ إِذَا عَضَّهُمْ دَهْرٌ شَدِيدُ الْمَنَاكِبِ
 ٣ - وَقَدْ عَلِمْتَ عَلِيًّا مَعَدُّ بَأْتِكُمْ ثِمَالُهُمْ فِي الْمُضْلِعَاتِ النَّوَائِبِ
 ٤ - فَإِنْ تَطْلُقُونِي تَطْلُقُوا ذَا قِرَابَةٍ وَمُثْنٍ عَلَيْكُمْ صَادِقًا غَيْرَ كَاذِبِ
 ٥ - فَأَبْلِغْ أَبَا سَفْيَانَ رِسَالَةً وَأَبْلِغْ أُسَيْدًا ذَا النَّدَى وَالْمَكَاسِبِ

- ١٠ - عيينة : هو عيينة بن حصن بن ذيفعة الفزاري ، وكان فائد غطفان يوم الخندق .
 صخر : هو أبو سفيان صخر بن حرب زعيم قريش وقائدها يوم الخندق .
 ١١ - قرمان : فحلان سيدان . معقل الهراب : ملجؤهم .
 ١٢ - خير صحاب : من غير المعقول أن يصفهم عدوهم بهذا الوصف ، ولعل الكلمة (شر) ثم أبدلها الرواة تأدياً مع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .
 (هـ) القطعة في المنق ص ٤٣٠ - ٤٣١ .
 ٢ - ثمال الناس : غياثهم الذي يقوم بأمرهم .
 ٣ - المضلعات : الخطوب المثقلة المعجزة .
 ٥ - أبو سفيان : : صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس . أسيد : ابن أبي العريس بن أمية ابن عبد شمس .

- ٦ - وأبلغ أبا العاصي ولا تنس زمة
ومطعم لا تنس لجام المشاغب
٧ - بأنكم في العسر واليسر خيرنا
إذا كان يوم مزهر الكواكب

(٣)

وقال ابن الزبيري (*) :

- ١ - أمين رسم دار أقفرت بالعنايث
بكيت بعين دمعها غير لابت
٢ - ومن عجب الأيام والدهر كله
له عجب من سابقات وحادث
٣ - لجيش أتنا ذى عرام يقوده
عبيدة يدعى في الهياج ابن حارث
٤ - لتترك أضناماً بمكة عكفا
مواريث موروث كريم لوارث
٥ - فلما لقيناهم بسمر ردينة
وجرد عتاق في العجاج لواهث
٦ - ويضي كأن الملح فوق متونها
بأيدي كماء كالليوث العواث

٦ - أبو العاصي : ابن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس ختن النبي صلى الله عليه وسلم .
زمة : ابن الأسود بن عبد المطلب بن أسد . مطعم : ابن عدى بن نوفل بن عبد مناف .
٧ - مزهر الكواكب : أى اشتد ضوءها ، يريد شدة البرد .

(*) القصيدة في السيرة النبوية ١ / ٥٩٣ - ٥٩٤ .

(**) يقال إن ابن الزبيري يرد في هذه القصيدة على قصيدة لأبي بكر الصديق قالها في غزوة
هيبة بن الحارث أولها :

أمن طيف سلمى بالبطح الدماث
أرقت وأمر في العشي حداث
وقال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر ينكر هذه القصيدة لأبي بكر رضي الله عنه .
وبعد قصيدة ابن الزبيري قال ابن هشام : تركنا منها بيتاً واحداً ، وأكثر أهل العلم بالشعر ينكر
هذه القصيدة لأبي الزبيري .

١ - الشعاع : أكداس الرمل التي لاتنبت شيئاً .

٣ - عبيدة : هو عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف بن قصي ، بعثه رسول الله
صلى الله عليه وسلم في ستين أو ثمانين ركباً من المهاجرين ، فسار حتى بلغ ماء بالحجاز
بأسفل ثنية المرة ، فلقى حصاً عظيماً من قريش ، فلم يكن بينهم قتال ، إلا سعد بن أبي
وقاص ، قد رمى يومئذ بسهم ، فكان أول سهم رمى في الإسلام ، وكانت سرية
عبيدة بن الحارث أول راية عقدتها الرسول عليه السلام . (السيرة ١ / ٥٩١) .

ذو عرام : ذو شدة وكثرة . الهياج : الحرب .

٦ - العواث : المفسدات . وتروى : (العواث) .

- ٧ - نُقِيمُ بِهَا إِصْعَارَ مَنْ كَانَ مَائِلًا وَنَشْفِي الذُّحُولَ عَاجِلًا غَيْرَ لَا بَثٍ
 ٨ - فَكْفُوا عَلَى خَوْفٍ شَدِيدٍ وَهَيْبَةٍ وَأَعْجَبَهُمْ أَمْرُهُمْ أَمْرٌ رَائِثٌ
 ٩ - وَلَوْ أَنَّهُمْ لَمْ يَفْعَلُوا نَاحَ نِسْوَةٍ أَحْيَى لَهُمْ مِنْ بَيْنِ نَسْءٍ وَطَامِثٍ
 ١٠ - وَقَدْ غُوْدِرَتْ قَتْلَى يَخْبِرُ عَنْهُمْ حَقِيٌّ بِهِمْ أَوْ غَافِلٌ غَيْرُ بَاحِثٍ
 ١١ - فَأَبْلِغْ أَبَا بَكْرٍ لَدَيْكَ رِسَالَةَ فَمَا أَنْتَ عَنْ أَعْرَاضِ فَهْرٍ بِمَا كُنْتَ
 ١٢ - وَلَمَّا تَجِبَ مِنِّي يَمِينٌ غَلِيظَةٌ نَجَدُّ حَرْبًا حَلَفَةً غَيْرَ حَانِثٍ

()

وقال (*): (من الكامل)

١ - يَا لَيْتَ زَوْجَكُ قَدْ غَدَا مَتَقَلِّدًا سَيْفًا وَرُمَحًا

٧ - الإصعار : الميل . الذحول : جمع ذحل ، وهو طلب النار .

٨ - ويروى : (غير رائث) .

٩ - النسء : المتأخرة في الحيض ، المظنون بها الحمل . الطامث : الحائض .

(*) البيت في الكامل - المبرد ٢٨٩/١ والمخصص ١٣٦/٤ وخزانة الأدب ٣٣٠/١

لعبه الله بن الزبيرى . وجاء غير معزوف في المصادر التالية :

ديوان علقمة ص ١١٠ ، ومعاني القرآن ص ٤٩ ، والإيضاح العضدى ص ١٩٥ ،

والخصائص ٤٣١/٢ ، والصحاح (قلد) ٥٢٤/١ ، وشرح ديوان الحماسة - المزدوق ١١٤٧/٣

وفقه اللغة - الثعالبي ص ٣٢٦ ، وأمالى المرتضى ٥٤/١ ، ٢٦٠/٢ ، ٣٧٥ ، وشرح شواهد

الكتاب - الشنتمري ٣٠٧/٢ ، وشرح ديوان الحماسة - التبريزي ١٤٧/٣ ، ٢٢/٤ ،

والإنصاف ٣٢٢/٢ ، وشرح المفصل ٥٠/٢ ، واللسان (مسح) ٤٣٠/٣ ، و (قلد) ٣٦٩/٤ ،

و (جدع) ٣٩١-٩ ، و (جمع) ٤٠٨-٩ ، وتاج العروس (مسح) ٢٢٣/٢ ، و (قلد)

٤٧٦-٢ ، و (جدع) ٢٩٧/٥ ، و (جمع) ٣٠٨/٥ .

١ - في حماسة التبريزي والمخصص وأمالى المرتضى واللسان والتاج (جدع) ، والإنصاف :

(ياليت بعلك) . في أمالى المرتضى والإنصاف : (ياليت بعلك في بوغى) .

في فقه اللغة : (ياليت شيخك) . متقلداً : الرمح لا يتقلد ، وإنما قال ذلك لمجاورته

السيف ، أى ومعتقلاً رمحاً .

(٥)

وقال (*) : (من الطويل)

١ - أَلَا أْبَلِغَا بُسْرَ بْنَ سُفْيَانَ آيَةً يُبَلِّغُهَا عَنِّي الْخَبِيرُ الْمَفْرُدُ

(٦)

وقال يرد على موهب بن رياح (*) :

١ - وَأَمْسَى مَوْهَبٌ كَحِمَارٍ سَوٍّ أَجَازَ بِبَلَدِهِ فِيهَا يَنْسَادِي
٢ - فَإِنَّ الْعَبْدَ مِثْلَكَ لَا يُنْسَاوِي سُهَيْلًا ضَلَّ سَعْيُكَ مَنْ تُعَادِي
٣ - فَأَقْصِرْ يَا بَنَ قَيْنِ السُّوءِ عَنْهُ وَعَدُّ عَنِ الْمَقَالَةِ فِي الْبِلَادِ
٤ - وَلَا تَذْكُرْ عِتَابَ أَبِي يَزِيدٍ فَهِيَهَاتَ الْبَحُورُ مِنَ الثَّمَادِ

(*) البيت في المنقح ص ٢٣١ .

(**) قال : وهي قصيدة في شعره .

قال عبد الله بن الزبرعي لبسر بن سفيان القميري من خزاعة يذكروهم بديعة الوليد بن المغيرة ، إذ كان الوليد بن المغيرة قد مر ذات يوم يجر برديه بين أبواب بني قير بن حبشية بن سلول بن كعب بن عمرو بن خزاعة ، فرماه رجل منهم بسهم فأصاب عضلة ساقه ، فأت من جرائها بعد ذلك وأوصى أن لا يطل دمه .

فلما سمع بسر بن سفيان قول ابن الزبرعي ، أخذ بيد ابنه وفريش جلوس في الحجر (حرم الكعبة) ... فقال : هذا ابني لكم رهن بالدية ، فأخذه خالد بن الوليد ، فانطلق بالغلام إلى منزله فأطعمه وكساه حلة وطيبة ، ثم قال : انطلق إلى أبيك ، فإن كان لنا عليه حق فسيره عينا ، فلما أتى الغلام أباه ذكر له ما قال ، فقال : أفعل والله لأريحن عليه حقه ، وكانت الدية تؤدى مقطعة في سنين ، فأدأها عاماً ، ثم حج رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع وقد بق من الدية شيء ، فوضعه صلى الله عليه وسلم فيما وضع من دماء الجاهلية ، فلم يؤد شيئاً بعد ذلك .

(المنقح ص ٢٢٤ - ٢٣٢ باختصار)

(*) الأبيات في السيرة النبوية ٢/ ٣٢٥ .

(**) قال يرد على موهب بن رياح أبي أنيس حليف بني زهرة ، وكان موهب يرد على

مهيل بن عمرو الذي طالب بديعة رجل من بني عامر بن لؤي ، قتله أبو بصير ، فقال :

أَتَسَانِي عَنْ سَهِيلٍ ذَرَأَ قَسُولٍ فَأَيُّقُطْنِي وَمَا بِي مِنْ رَقَادٍ

فَإِنْ تَكُنِ الْعِتَابُ تَرِيدُ مِنِّي فَعَاتِبْنِي فَمَا بَكَ مِنْ بَعَادِي

في قطعة من ثمانية أبيات ، فقال ابن الزبرعي يرد على موهب : وأمسى موهب

٢ - لا يناوى : لا يعادى ، وترك حمزة (يناوى) ضرورة الشعر .

٤ - التمساد : الماء القليل

(٧)

وقال (*) : (من الرجز)

- ١- إِنْ نِيَّ عَلَى مَا فِيَّ مِنْ تَخَدُّدٍ
- ٢- وَدَقَّةٍ فِي عَظْمٍ سَاقِي وَيَدِي
- ٣- أَرَوِي عَلَى ذِي الْعُكَنِ الضَّفْنَدِ

(٨)

وقال ابن الزبجري (*) : (من الرمل)

- ١- بَلِّغَا سَهْمَا جَمِيعاً كُلُّهُمَا سَيِّدَا مِنْهَا وَمَنْ لَمَّا يَسُودْ
- ٢- مَنْطَقاً يَمْضِي إِلَى جُلُّهِمْ أَنْكُمْ أَنْتُمْ أَزْرِي وَعَضُدْ
- ٣- ثُمَّ عَدَّ الْقَوْلَ إِنْ أَفْهَحَهُ عِنْدَ مَنْ يَحْفَظُ أَيْمَانَ الْعَهْدِ
- ٤- ذَلِكَ الْعَاصُ بْنُ سَلَمَى إِنَّهُ رَفَعَ الذِّكْرَ فَقُلَّ فِيهِ وَزِدْ

(*) الرجز في المنقوص والممدود - الفراء ص ٣٣٥ لابن الزبجري ، والملاحن ص ٢٨ (دون عزو) ، والجهرة ١/ ١٧٦ (دون عزو) والفصول والغايات ص ٤٦٤ (دون عزو) .

١ - الفصول والغايات : (ما كان من تخددي) . الجمهرة : (من تخددي) . التخدد : اضطراب اللحم من الهزال .

٣ - أروى : أشد عليه بالرواء ، وهو الحبل . العكن : الإطواء في البطن من السمن . الضفندد : الغليظ الجسم الثقيل الكثير اللحم مع حق .

(هـ) القطعة في المنق ص ٤٢٩ - ٤٣٠ .

(هـ) قالها يمدح العاص بن وائل حين آق به مربوطاً ليدفع إلى بني قصي بعد أن هبّاهم بكتابه على دار الندوة :

ألمى قصياً عن المجد الأساطير ورشوة مثل ما ترثي السفاسير
(المنق ٤٢٦ - ٤٢٩)

٢ - الأزر : القوة والظهر .

٤ - سلمى : أم العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم ، وكان من بلى من قضاة .

- ٥- نبتَ العائلُ في أَكْنَافِهِ منبتَ العيصِ من السِّدرِ الزبدِ
٦- ففداهُ الموتُ إنْ حاولَـه شكس شيمة جلدُ الكبـدِ

(٩)

وقال (٥) :

- ١- لا يُبْعِدُ اللهُ رَبُّ العِبَادِ والملح ما ولدتُ خالده
٢- وهم يُطعمونَ ضُـدورَ الكُـمـاةِ والخيلُ تطردُ أو طارده
٣- فَإِنْ يَكُنِ الموتُ أَفْـنَاهُمُ فللموتِ ما تلدُ الوالـدَـه

(١٠)

وقال ابن الزبعرى عند إسلامه يمدح النبي ويعتذر إليه (٥) :

(من الخفيف)

٥ - العيص : بكسر العين ، الشجر الكثير الملتف . السدر : نوع من الغضاء يكون شجرة ملتفاً نابتاً بعضه في أصول بعض .

٦ - الشكس : البخيل السوء الخلق . الشيمة : الخلق والطبيعة .

(٥) الأبيات في جامع الشواهد - محمد باقر بن علي رضا ص ١٧٧ - ١٧٨ . والبيت :

١ في اللسان (ملح) ٤٤٣/٣ (دون عزو) . والبيت : ٣ في شرح شواهد المغني - السيوطي ٥٧٢/٢ (دون عزو) . وعجز البيت الثالث في ذيل سمط الآلي ٩٢/٣ قال : مثل سائر أبيات لشتيم بن خويلد الفزاري ، وفي أبيات لسالك بن عمرو الباهلي أيضاً . وعجز البيت الثالث في ذيل الأمالي (النوادر) ص ١٩٧ من قطعة لمبيد بن الأبرص ، والعجز في ديوان عبيد ص ٦٢ ضمن قطعة .

(٥٥) قلت : عجز البيت الثالث مثل سائر جاء في شعر أكثر من شاعر ، ولعل ابن الزبعرى قد تمثل به وضمنه شعره .

٣ - النوادر : (فلا تجزعوا لحام دنيا فللموت ما تلد الوالدة)

شرح شواهد المغني : (وإن يكن الموت) .

(٥) الأبيات ١ - ٤ في السيرة النبوية ٤١٩/٢ . الأبيات : ١ ، ٢ ، ٣ ، ٥ ،

٦ ، ٧ ، في الاستيعاب ٣١٠/٢ ، والسمط ٨٣٣/٢ - ٨٣٤ ، وأسد الغابة ٣/١٦٠ ، وحاشية

عبد القادر البغدادي على شرح ابن هشام على بانة سعاد ٤٩/١ ، وشرح أبيات مغني اللبيب -

البغدادي ٢٥٦/٤ - ٢٥٧ . والأبيات : ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، في الطبري ٦٤/٣ ، والبداية =

- ١- يا رسولَ المليكِ إنَّ لِسَانِي رَاتِقٌ مَا فَتَقْتُ إِذْ أَنَا بُورٌ
- ٢- إِذْ أَبَارَى الشَّيْطَانَ فِي سَنَنِ الْغَدَى سَى وَمِنْ مَالٍ مِثْلَهُ مَثْبُورٌ
- ٣- آمَنَ اللَّحْمُ وَالْعِظَامُ لِرَبِّي ثُمَّ قَلْبِي الشَّهِيدُ أَنْتَ النَّذِيرُ
- ٤- إِنَّنِي عَنْكَ زَاغِرٌ ثُمَّ حَيًّا مِنْ لُؤَى وَكُلُّهُمْ مَغْرُورٌ
- ٥- إِنَّ مَا جِئْتَنَا بِهِ حَقٌّ صِدْقٍ سَاطِعٌ نَوْرُهُ مَضِيٌّ مَنِيرٌ
- ٦- جِئْتَنَا بِالْيَقِينِ وَالْبِرِّ وَالصِّدْقِ وَفِي الصِّدْقِ وَالْيَقِينِ سُرُورٌ
- ٧- أَذْهَبَ اللَّهُ ضَلَّةَ الْجَهْلِ عَنَّا وَأَتَانَا الرِّخَاءَ وَالْمَيْسُورَ

=والنهاية ٣٠٨/٤ - ٣٠٩ . والأبيات : ١ ، ٢ ، ٣ في مغازي رسول الله - الراقي ص ٣٣ ، وطبقات الشعراء ٢٤٢/١ ، والكامل - ابن الأثير ٢٥٠/٢ ، وشرح شواهد المغني - السيوطي ٥٥١/٢ . والأبيات : ١ ، ٢ ، ٦ في الإصابة ٣٠٨/٢ رقم ٤٦٧٩ . والبيتان : ١ ، ٢ في المختار من شعر بشار ص ١٨٤ . والبيت الأول في إصلاح المنطق ص ١٢٥ ، والجمهرة - ابن دريد ٢٧٧/١ ، و ٢٠٣/٣ ، وشرح القصائد السبع - ابن الأنباري ص ٣٨٩ وص ٥٩٤ ، والإتباع - أبو الطيب اللغوي ص ٢٣ ، وأما القائل ٢/٢ ، ومعجم مقاييس اللغة ٣١٦/١ ، والصاح (بور) ٥٩٧/٢ ، والمخصص ٤٨/٣ ، ٣٣/١٤ ، ٣٠/١٧ ، والسمط ٣٨٨/١ ، والاقتضاب ص ١١ ، واللسان (بور ٥/١٥٣ ، والتاج (بور) ٦٠/٣) قال : وإخاله عبد الله بن رواحة ، وقال : ونسبه الجوهري لعبد الله بن الزبير .

- ١ - الإصابة : (يارسول الله) . اللسان : (يارسول الإله) .
- ٢ - طبقات الشعراء والمختار من شعر بشار وشرح شواهد المغني وشرح البغدادى : (إذ أجاري الشيطان) شرح البغدادى والاستيعاب : (خاسر مثبور) . السمت والإصابة : (إذ أجاري الشيطان) . الطبري : (في سنن الريح) .
- ٣ - طبقات الشعراء وشرح شواهد المغني ومغازي الراقي : : (آمن اللحم والعظام بما قلت) فنفسي الفدى وأنت النذير (السمت وشرح البغدادى والاستيعاب : (يشهد السمع والفؤاد بما قلت) ونفسي الشهيد وهو الخبير (
- ٤ - الطبري : (ثم حي من لؤى فكلهم مغرور) .
- ٥ - الاستيعاب : (حق وصدق) .
- ٦ - السمت والاستيعاب : (والصدق والبر ... السرور) .
- ٧ - السمت : (وأتانا الرجاء الميسور)

